العصر العدد 186 من 14 إلى 20 رمضان 1422 الموافق لـ 30 نونبر إلى 06 دجنبر 2001

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله عضو أكاديمية المملكة لـ "العصر":

الحوار يجب أن يأخذ مجراه العلمي الشامل بين الشرق والغرب في نطاق المبادلة بين الحضارات

يتحدث الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله عضو أكاديمية المملكة خلال هذا الحوار عن تجربته الدعوية عبر الأنترنيت وإمكانية الحوار مع الغرب، ويتحدث أيضا عن قضايا المسلمين في فلسطين وأفغانستان ويقدم تصورا خاصا لتطوير عمل المجالس العلمية وتفعيل دورها، كما يقرب القارئ لمجالات اشتغاله العلمية والفكرية.

■ لكم تجربة دعوية متميزة تقومون بها عبر شبكة الأنترنيت، هلا تفضلتم بالحديث عنها والتعريف بها.

●● أقوم بالدعوة الإسلامية في نطاق محاضراتي عبر العالم الإسلامي من خلال الإنترنيت إجابة عن كل ما يرد علي من أسئلة باللغتين الفرنسية والإنجليزية في كل المواضيع المتصلة بالدين والاجتماع، والواقع أن استعمال وسيلة الأنترنيت تحل كثيرا من المشاكل المستعجلة التي لا يستغرق السؤال والإجابة عنها أكثر من ساعة مهما كان مقر السائل في أي جزء من العالم ويكون ذلك مجرد رأي ولكنه رأي مبني على نصوص محكمة من الكتاب والسنة إذا كان الأمر يتعلق بالشؤون الدينية، ولا يمر يوم إلى الآن إلا وترد علي هذه الأسئلة فأجيب عنها كداعية متواضع لا يرى لنفسه أي استقلال بالجواب ولكن مجرد مساهمة في حل المشاكل، وتتجلى قيمة الجواب في استناده على الأصلين: والسنة مع ما يتطلبه ذلك من تفتح إذا اقتضت المصلحة العامة حلا من الحلول، ومعلوم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: "حيثما كانت المصلحة العامة فهناك الإسلام".

إن اندراج هذه الآراء على الأنترنيت يخلق حوارا بين أصحاب الآراء في مختلف الأقطار الإسلامية مع باقي المفكرين الذين ننتظر دائما منهم إبداء آرائهم لحل بعض الجزئيات المستعصية لا سيما في هذا القرن، قرن العولمة الفكرية الحقيقية التي لا تخضع لنفوذ غربي ولا شرقي.

■ تعتمدون أسلوبا حواريا متواصلا مع جهات علمية وفكرية أجنبية، ولكم صلات مع جامعات ومعاهد عالمية، ما هو تقييمكم لهذا التواصل؟ وكيف ترون الحوار مع الغرب خلال هذه المرحلة التاريخية التي تشهد تجاذبا حادا على المستوى الفكري والواقعي بين العالم الإسلامي والغرب؟

●● قيمة الحوار الذي نجريه أنه يرتكز دعما للبعد على رأي الآخر لا سيما بهاته السرعة الزمنية التي يوفرها لنا الأنترنيت وإذا ما اتسع نطاق هذا التبادل فإن الحوار سيأخذ مجراه العلمي الشامل حتى بين الشرق والغرب في نطاق المبادلة بين الحضارات لأن الحضارات في عمقها لا تختلف نظرا لكون الحقيقة واحدة لا حدود لها.

بالإضافة إلى حوار الأنترنيت حاولت إدراج نماذج من كتبي حول الحضارة والفكر الإسلامي وأبعاد هذا الفكر في تأصيل الحضارة المحمدية ومدى سموها، فإذا أخذنا مثلا آخر كتاب صدر لي وهو مدرج كله منذ سنوات قبل طبعه على الأنترنيت "عقلانية المقدس" فيمكن القول بأن السبب الأساسي لتصنيفه هو حملة بعض الغربيين على الإسلام ووصمه باللامنطقية واللامعقولية، وقد زارني في هذا المجال مسيحيون ووضعوا على أسئلة يعجزون بها الفكر الإسلامي بتهمة عدم مواكبته للفكر المعاصر القوا علي نحو خمسين مسألة فاجبت عنها باللغة الفرنسية، وكان تجميعها موضوع الكتاب وقد قدم الكتاب "إيريك جوفروي" الأستاذ في جامعة ستراسبورغ الذي اعتنق الإسلام كما اعتنقه الصحافي الفرنسي "طاكورنيت" الذي صنف مقدمة ثانية للكتاب وأبدى إسلامه. وقد كان للكتاب وقع تحدثت عنه الكثير من الصحف والقنوات الفضائية لا سيما في هذه الفترة التي مررنا بها والتي تمخضت عن مجادبات بين الإسلام والغرب، وقد كان أول كتاب صنفته بالفرنسية في الموضوع هو "أضواء على الإسلام في ينابيعه" منذ أربعين سنة انطلقت في تصنيفه من كتب الحديث الستة عشر من الصحاح والمسانيد والسنن للتعريف بالإسلام والإيمان انطلاقا من الأحاديث النبوية الصحيحة التي ترجمت الآلاف منها للغة الفرنسية وهي مدرجة في الأنترنيت، ومما يجب الإشارة إليه أن الكثير ممن يراسلونني عبر الأنترنيت قد اعتنقوا الإسلام ويسألون عن بعض جزئياته حتى يكونوا في مستواه.

■ قضية المسلمين الأولى المتمثلة في اغتصاب فلسطين وتداعياتها المستمرة من إرهاب صهيوني يومي في حق الشعب الفلسطيني تلقي بظلالها على العالم الإسلامي، كيف تقرؤون القضية؟

●● كنت قد أصدرت حول القضية كتابا باسم "السلام في فلسطين يمر عبر القدس" باللغة الفرنسية عززت فيه تشبث الإسلام بالقدس وفلسطين بالثوابت الحضارية والتاريخية والفكرية علاوة على وحدة اللغة والدين، دون أن أنسى الإشارة إلى مناقضات الرأي الآخر، ونتحاشى أحيانا الإطناب في وصف المجازر والمذابح وتقتيل الأطفال والأمهات والشيوخ مما يفتت الأكباد ويثير حقد الإنسانية الحق على السفاكين الذين قد يساندون عمليا من طرف من يزعمون الدفاع عن الحرية والديمقراطية.

■ تشن الولايات المتحدة الأمريكية حربا عدوانية على الشعب الأفغاني بدعوى محاربة الإرهاب، وتضاف هذه الحرب للاقتتال الحاصل بين الأفغانيين أنفسهم لتزيد من معاناة المسلمين، ما هي الخلاصات التي خرجتم بها مما جرى؟

●● الذي يحز في نفوسنا كمسلمين من ناحية وكمجرد مواطنين عالميين ما نراه اليوم في أفغانستان حيث يتناحر الإخوة المؤمنون بدافع قهري ممن ينصبون أنفسهم كركبي للدفاع عن الديمقراطية في العالم، ومعظم المجازر كانت نتيجة للقذائف والصواريخ التي لم تنتقي أهدافها باقتصارها على رجالات المعترك وحدهم، والواقع أن شيئا لم يحل في هذا المجال لأن تدخل الأجانب من الغربيين زاد الطين بلة وأجج الصراع بين الإخوة بمساندة فريق ضد فريق، والذي يحز في نفوسنا أكثر أن هذه التجربة المرة لن تكون هي الأخيرة حسب ما يصرح به من نصبوا أنفسهم لذلك. ويزداد الخصم قوة بعدم اعتصام المسلمين بحبل الله ووحدة الصف.

■ أشرفتم خلال فترة ممتدة على رئاسة المجلس العلمي للرباط وسلا، وتكونت لديكم بلا شك صورة عن المجالس العلمية وطبيعتها، كيف تتصورون دور هذه المجالس؟ وما هي رؤيتكم لتطوير عملها وتفعيل دورها داخل المجتمع؟

●● وجود المجالس العلمية في الأمة ضروري كمرجع للمشورة الدينية والاجتماعية في كل مجتمع إسلامي، وعلى هذا يجب أن يتكون المجلس من نخبة منتقاة من بين كبار العلماء الذين لا يماري في آرائهم من ضرورة استقلالهم بالرأي ودون أي تدخل إداري أو وزاري، وتزداد آراء هؤلاء العلماء قوة بإشراف أمير المؤمنين على المجلس الأعلى لهؤلاء العلماء لتكون له قوة تقريرية وتنفيذية في نطاق تأطير المواطنين والمواطنات وطنيا ودينيا واجتماعيا كما سبق لصاحب الجلالة أن قرر ذلك في المؤتمر التأسيسي للمجالس العلمية بتطوان. وفي هذا الإطار يكون لرئيس المجلس العلمي في كل ولاية وعمالة دور هام للإجابة عن كل التساؤلات الممكنة في هذا الموضوع، فلكل رئيس مجلس أن يبدي رأيه في هذا المجال وإذا كان للمشكل بعد وطني شامل يندرج في عموم ما يمكن أن نسميه بالفتوى تجميعيا للآراء وعرضها على المجلس الأعلى.

قضايا الأئمة والخطباء والوعاظ يجب أن يعاد النظر في أشخاصهم ومهامهم والمصادر الدينية الموثقة التي يستندون إليها، وهذا ما حاولت عندما كنت رئيس المجلس العلمي للرباط وسلا أن أركز عليه بعد الحصول على استقلال رئاسة المجلس في انتقاء الأصلح من بين هؤلاء العلماء المكلفين بالإشراف على الشؤون الدينية، وقد أدى عدم الاستجابة لمطلبي إلى استقالتي من المنصب.

■ صنفتم ما يربو على المائة من الكتب والمصنفات العلمية والفكرية المختلفة المواضيع، هل لكم أن تقربونا لمجالات اشتغالكم؟

●● الواقع أن معظم ما صنفته لحد الآن من كتب باللغة العربية يستهدف جانبين: جانب التعريب عندما كنت أمينا عاما لمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي إذ أصدرت نحو الأربعين معجما بثلاث لغات من دراسات مفصلة لبيان أن اللغة العربية هي لغة العلم والحضارة الحق وقد اعترف بذلك حتى خصومها، وآخر ما أصدرت في الموضوع بحث مطول في العدد العشرين من "التاريخ العربي".

أما الجانب الثاني فيتصل بتصحيح أخطاء الغربيين في تاريخ الفكر والحضارة بالمغرب الأقصى مما حملني على إعداد نحو العشرين معلمة عن كل مدينة وما حولها من قبائل مع وصف شامل لخواص كل مدينة وأصناف رجالاتها وما حققته في تاريخ الفكر المغربي من مميزات وقد صدر منها لحد الآن معلمات عن فاس وجدة والرباط سلا ومراكش الصحراء وأنفا، ومازالت في مرحلة المخطوط خمسة عشرة معلمة حول المناطق الأخرى، وهاته الدراسات المعلمية الخاصة تعزز بمعلمات فكرية منها ما صدر منذ أربعين سنة كمعلمة الطب والأطباء في المغرب ومعلمتي الجيش والقضاء اللتين أصدرهما معهد القضاء بالرباط ومعلمة حول تطور العلوم الكونية والدقيقة في المغرب خلال ألف عام، ولا نطيل بالإشارة إلى باقي المعلمات التي تمس كل واحدة جانبا من الحضارة المغربية، وقد سبق أن أصدرت منذ ستين سنة كتابين أحدهما بالعربية حول معطيات ومظاهر الحضارة المغربية في مجلدين بالعربية، وبالفرنسية حول التيارات الكبرى للحضارة المغربية وكان هذا الكتاب الأخير جوابا لبعض الغربيين الذين عمدوا في الفت في عضد الوحدة العربية الأمازيغية وكان ذلك آخر إبان الحماية الاستعمارية، وقد صدر منذ أسبوعين كتابان اثنان أولهما: "الفكر الصوفي السني بين المشرق والمغرب في ثلاث مجلدات وكتاب ثاني حول "الرحلات من المغرب وإليه" منها رحلات حجازية ورحلات إقليمية ومجموعة رحلات بعض الغربيين إلى المغرب منذ أوائل الميلاد مرتبة ترتيبين: ألف بائي وموضوعي. وهذا لا يمنعني من أن أترصد لكل موضوع جديد تثيره في ذهني آراء شاذة تصدر عن مستشرقين وأساتذة غربيين وحتى عن عرب يجهلون ماذا يكتبون.

والواقع أن في كل عملي هذا لا انتظر من أي جهة لا شكرا ولا تهنئة وإن كان مع الأسف الشديد الهيات التي تهتم بما يصدر عن العالم الثالث هي هيات علمية أجنبية ولذلك أتوصل أسبوعيا برسائل وإجازات تستند إلى وفرة وعمق هذه الدراسات والمصنفات من أجل اعتبار -وإن كنت لا أستحق ذلك- أول رجل علم دولي منذ سنة 1997 إلى 2001 حيث انتخبت من طرف المعهد البيوغرافي الأمريكي عضوا مستشارا وكذلك من طرف المركز البيوغرافي الدولي في مدينة كمبردج بانجلترا، وهنا أشير إلى أنني بحثت يوما في مكتبة الكونغريس بأمريكا فوجدت كل كتبي بها كما زرت مكتبة موسكو مرارا فعثرت على كل ما أصدرت باللغتين، فهل يطلع الغرب والمغاربة على ما يكتبه بعضهم أم يقتصر ذلك على الأجانب؟

حاوره إسماعيل الإدريسي

وجود المجالس العلمية في الأمة ضروري كمرجع للمشورة الدينية والاجتماعية في كل مجتمع إسلامي، وعلى هذا يجب أن يتكون المجلس من نخبة منتقاة من بين كبار العلماء الذين لا يماري في آرائهم من ضرورة استقلالهم بالرأي ودون أي تدخل إداري أو وزاري

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية كريمة، فالمرجو صيانتها عن كل امتهان